فوائد من دروس تفسير سورة الأعراف للشيخ أبي سعيد بلعيد بن أحمد الجزائري حفظه الله

إعداد: حمزة لناي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس التاسع

الأحد 17 صفر 1437 / 29 نوفمبر 2015

من الآية 37 إلى الآية 43

قال تعالى [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (39) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ(40) لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (43)]

المعنى الاجمالي للآيات: يُبيّن الله تعالى في هذه الآيات أن الكذب على الله من أظلم الظلم، والذين يكذبون على الله سينالهم العذاب الأليم، ويلعن بعضهم بعضا، أي الأتباع والمتبوعون، وأن الله لا يتقبل أعمالهم لأنهم كفار، ولا يفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة. أما المؤمنون فإن الله سبحانه وتعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها في الدنيا، وأما يوم القيامة فالله يزيل مافي صدورهم من غل، ويحمدون الله على نعمة الجنة.

شرح الكلمات :

فَمَنْ أَظْلَمُ: الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ولهذا فالمشرك ظالم، لأنه يضع العبادة في غير مكانها وصَرَفها لغير الله، قال تعالى [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] لقمان (13)

أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ: ما قدّر لهم في كتاب المقادير.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا: الملائكة التي تعين ملك الموت.

ضَلُّوا عَنَّا: غابوا عنا ولم يحضروا.

حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا: تداركوا ولحق بعضهم ببعض حتى يدخلوا النار جميعهم.

قالت أخراهم: الأتباع

لأولاهم: المتبوعون

بما كنتم تكسبون: تقترفون من الشر والظلم والفساد

لاتفتح لهم أبواب السماء: روح الكافر لا تصعد إلى السماء وإذا صعدت لا تفتح لها أبواب السماء

سمّ الخياط: ثقب الإبرة

إلا وسعها: إلا طاقتها وما تتحمله وتقدر عليه من العمل

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ: أخرجنا مافيها من حقد وعداوة، قال رسول الله ﷺ: (يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة, فوالذي نفس مُحَمَّد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا)[1]

تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ: خلال بيوتهم وبساتينهم

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ: ارجاع النعمة إلى الله

الفوائد

1- أكبر الظلم الكذب على الله مثل من جعل لله ولدا، أو أن الله اتخذ شريكا او أمر بالفواحش ومنها الطواف بالبيت عراة ومنه الفتوى بدون علم. ومن أكبر الظلم التكذيب بآيات الله التي جاءت بها رسله بالجحد والعناد والمكابرة.

[1] البخاري (6535)

2- في قوله تعالى [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ] أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا، وقد جاءت آيات أخرى مثل:

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا] البقرة (114)

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ] البقرة (140)

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا] الكهف (57)

وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي:

(قال الله عزوجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة) [1] رواه البخاري ومسلم.

أجاب العلماء على هذا بجوابين:

الجواب الأول: أن كل من ذُكر في قوله: [فَمَنْ أَظْلَمُ] أو [ومَنْ أَظْلَمُ] لا يمكن أن يفوقه أحد من أهل الدنيا في الظلم، إلا أنهم جميعاً متساوون لا يفوق بعضهم بعضاً في الظلم، و يفوقون غيرهم في الظلم، كما لو قلت: ليس في هذا البلد أعلم من زيد، وليس فيه أعلم من عمرو. وزيد وعمرو مستويان في العلم، فتكون صادقاً، ولا معارضة بين قوليك. قاله أبو حيان في كتابه البحر المحيط.

الجواب الثاني: أنها تتخصص بِصِلاَتِها، فالمعنى: لا أحد من جنس المفترين أظلم ممن افترى على الله كذباً، ولا أحد من جنس المانعين أظلم ممن منع مساجدالله. وكلاهما صحيح، ذكرهما العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره. [2]

3- في قوله تعالى [أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ]، لا يموت إنسان حتى يستكمل أجله ويستوعب رزقه. قال رسول الله ﷺ :

(إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي أنّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها، فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ) رواه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع. [3]

---

[1] البخاري (7559)، مسلم (2111)

[2] العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (3 / 209، 210)

[3] أبو نعيم، حلية الأولياء (14382) . الألباني، صحيح الجامع الصغير(2085)

4- في قول الله تعالى [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ] أسند الله تعالى قبض الروح إلى الرسل وهي الملائكة، وفي آيات أخرى أسند قبض الروح إلى نفسه كما قال تعالى: [اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا] الزمر(42) وفي أخرى إلى ملك الموت كما سورة السجدة [قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ] الآية (11)

قال العلماء أنه لا تناقض في هذا، لأن الله لما أسند قبض الأرواح إلى نفسه لأن كل شيء بأمره ومشيئته وقضائه وقدره، فلا تقع وفاة أحد إلا بمشيئة الله والله هو الذي كتب هذا قبل أن يخلق السموات والأرض، قال تعالى [وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا] آل عمران (145)

وأما لما أسند الله قبض الأرواح إلى ملك الموت لأنه هو الرئيس الموظف بقبض الأرواح.
وأما لما أسند الله قبض الأرواح إلى الرسل وهم الملائكة لأنهم أعوان ملك الموت، قال بعض العلماء: يقبض أعوانه الروحَ حتى تبلغ الحلقوم، فإذا وصلت الحلقوم أخذها ملك الموت.

5- الملائكة تقرع وتوبخ الكفار عند قبض أرواحهم، ويضربونهم أيضا كما جاء في قوله تعالى في آية أخرى [وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] الأنفال (50)

6- في قول الله تعالى [قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ]
يشهد الكفار على أنفسهم أنهم كانوا كافرين إذا عاينوا الحقيقة كما قال سبحانه [فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ] الملك(11)، ولكن توجد آيات ذكر الله فيها أنهم ينكرون، قال تعالى [وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ] الأنعام (23) وفي آية [مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ] النحل (28)، قال العلماء أن إنكارهم ذلك يكون في بعض المواضع من يوم القيامة.

7- في قوله تعالى: [قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا]. يجمع الله الأمم الكافرة من الجن والإنس في النار فيتلاعنون ويتخاصمون، خاصة الأتباع، يلعنون الرؤساء والمتبوعين اللذين أضلوهم عن الصراط المستقيم.